النتائج الأولية للتنقيبات الأثرية في مواقع: زمال، الأشرفية، كفر الماء، عين المخشة، صير، سحم ١٩٩٢-٢٠٠٠م

إسماعيل ملحم

أجرت دائرة الآثار العامة حفريات أثرية في مواقع: خربة زمال، الأشرفية، كفر الماء، عين المخشة/ وادي زقلاب، صير/ بيت إيدس، وسحم الكفارات وجميعها تقع في محافظة إربد، وقد أجريت هذه الحفريات خلال السنوات ١٩٩٢م-٢٠٠٠م بإشراف كاتب المقالة. في ما يلي ملخص للنتائج الأولية لهذه التنقيبات:

خربة زمال

تقع خربة زمال غرب بلدة زمال مباشرةً، وقد أجرت دائرة الآثار العامة حفريةً عرضية فيها في الفترة ٩ آب إلى ٢٣ أيلول من العام ١٩٩٧م، حيث تمّ الكشف عن بقايا مبنى مستطيل الشكل بقياس حوالي ١٦م×٨م يغلب أنه يُمثل كنيسة صغيرة أو دير، فُقدت معظم جدرانه وبقي من معالمه أرضيتان فسيفسائيتان إحداهما ذات مكعبات ملونة والأخرى نُفذت باللونين الأبيض والأسود. وتقع الأخيرة في الجزء الغربي من المبنى وتبلغ مقاساتها حوالي ٦٣٠سم×٣٧٨سم ونفذت بطريقة بسيطة واستخدم في رصفها مكعبات غير منتظمة، وزعت زخارفها داخل مربعات غير متساوية القياسات، ويوجد في كل مربع شكل معيّن مثل: شمس، دائرة، صليب، مربع، سعف نخيل وغيرها، ويغلب أنّ هذه الأشكال ذات دلالاتٍ رمزية متعلقة بالمعتقد الديني[1] (**الشكل١**).

إنّ من الصعب الجزم بتاريخ هذه الأرضية الفسيفسائية

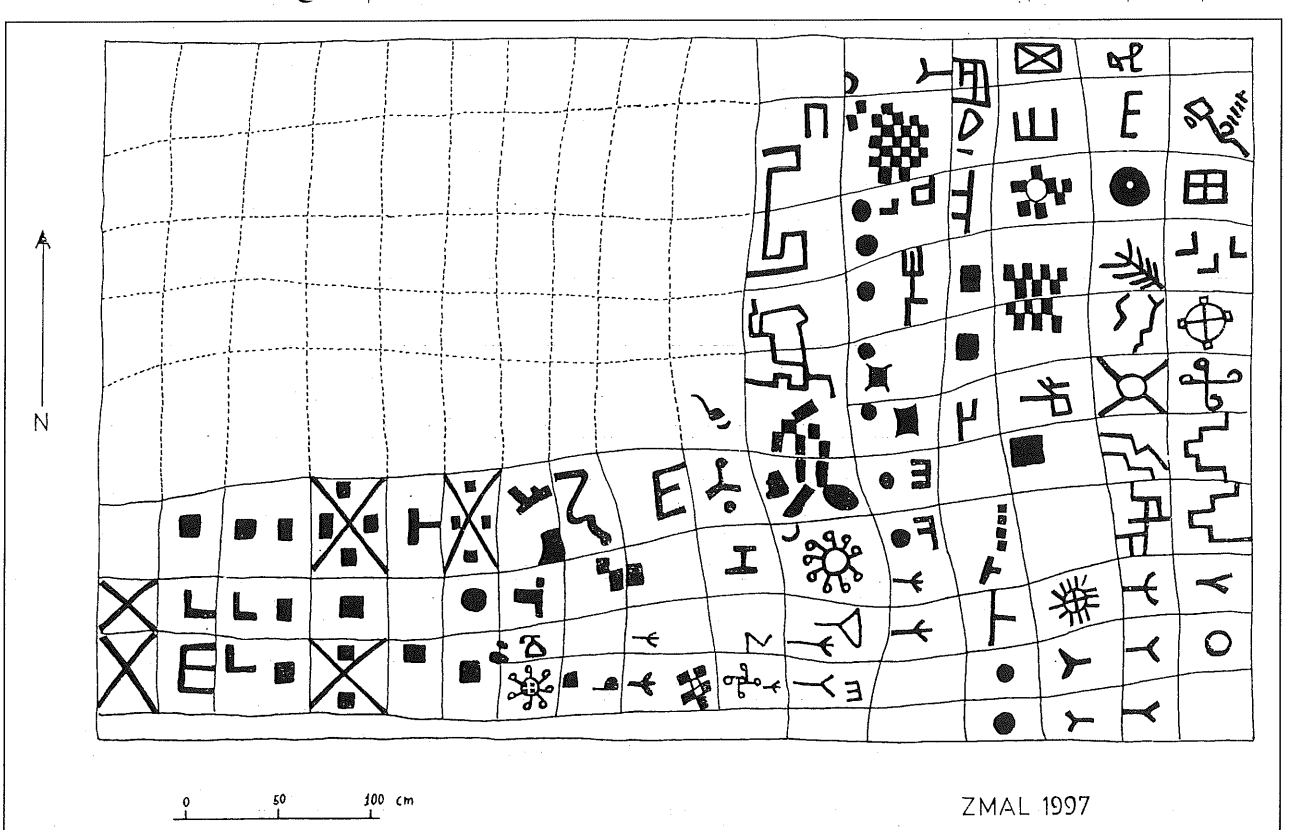

١ . مخطط الكتابات الرمزية على الفسيفساء، زمال.

١. سيتم نشر تحليل للأشكال الرمزية ودلالاتها المكتشفة في زمال بدراسةٍ مشتركة بين كل من روبرت دانيال وكاتب المقالة.

تحديداً، نظراً لأنّ الطبقات الأثرية وجدت مدمرة نتيجة أعمال الحراثة المتكررة سنوياً، ولكن من خلال الدراسة المقارنة وطرازها فإنّ تاريخها يتراوح بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين، حيث وجدت أرضية فسيفسائية قريبة الشبه في موقع (بيت هاشيتا) وتقع جنوب غرب بحيرة طبريا وأرّخها المنقب للقرنين الخامس والسادس الميلاديين (Ovadiah and Asher 1987: 20-21).

أما الأرضية الأخرى ذات الأشكال الهندسية فرصفت من مكعبات ملونة صغيرة الحجم وتقع شرقي الأرضية الفسيفسائية ذات الأشكال الرمزية وتبلغ مقاساتها ٤٤٥سم×٢٤٠سم، وينخفض مستواها عن الأرضية الأولى حوالي ٤٠سم، وقد نفذت رصفتها بطريقة متقنة، وتتكون زخرفتها من مربعين قياس كل منهما ٦٥٠سم×٣٨٥سم، ويوجد داخل كل مربع دائرة، إحداهما ذات خطوط متموجة والأخرى بشكل حدوة الفرس متداخلة، وكلاهما يتوسطه دائرة صغيرة. كما يوجد بجانب هذين المربعين شريط جانبي لخطوط منكسرة. يغلب أنّ تاريخ هذه الأرضية يعود لنهاية القرن السابع وحتى منتصف القرن الثامن الميلادي (**الشكل ٢**).

تمّ الكشف أسفل مستوى الأرضية الفسيفسائية الملونة بعد نقلها لغايات حفظها وعرضها في المتحف على نظام مميز من أنظمة الدفن الرومانية القديمة التي عملت بشكل حجرة بقياس ٤٤٥سم×٢٤٠سم×٥٢٠سم نحتت في جدرانها كوات صغيرة مثل بيوت الحَمام وكوات أخرى بنفس القياس عملت من حجارة ركبت فوق بعضها البعض (**الشكل ٢**). ويجاور هذه الحجرة حجرة أخرى ما زالت مطمورة في الجهة الشرقية بحيث يتضح وجود مدخل يصل ما بين الحجرتين، وقد وجدت حجرة الدفن مفرغة من محتوياتها للأسف منذ العصر البيزنطي وطمرت بشكل متعمد. يجاور حجرتي الدفن كهف مستطيل يبلغ طوله ٧م، كما يقع قرب المبنى المكتشف في الناحية الغربية بقايا معصرة زيتون داخل كهف يُرجح أنها استخدمت خلال العصر البيزنطي.

الأشرفية

تقع بلدة الأشرفية واسمها السابق (خنزيرة) جنوب شرق بلدة دير أبي سعيد بحوالي ٦كم، أجرت فيها دائرة الآثار العامة حفرية عرضية في الفترة ١١ إلى ٣٠ نيسان ١٩٩٨م، من أجل توثيق واستكشاف معالم بقايا مبنى من العصر الهلنستي سبق وأن شملته المسوحات الأثرية (Mittman 1970: 285)، غير أنه لم تجر فيه أية تنقيبات، ومما يؤسف له أن التمدد العمراني الحديث قد أتى على كثير من معالمه المهمة (**الشكلين ٣، ٤**).

يتكون المبنى من حجارة مربعة الشكل تماماً بقياس ٦٦٠سم×٦٦٠سم، وقد شُيدت الجدران من حجارة كلسية مشذبة من النوع القاسي، وتمتاز بعض حجارة المبنى بالضخامة، إذ يصل طولها إلى حوالي ٥٣٠سم بعرض ٥٠-٦٠سم بارتفاع ١١٠سم. يقع مدخل الحجرة في ما يبدو في الجهة الشرقية بعرض حوالي ١٥٠سم، وقد زخرفت الواجهات الخارجية للجدران بإفريز غائر في أسفل الجدران، إضافة إلى بقايا نحت نافر لجزء من تمثال يُمثل شخص. يجاور الحجرة في الجهة الغربية ممر جانبي متصل بدرجات تفضي إلى ساحة بها بقايا عدة أعمدة على الطراز الدوري أحدها يصل ارتفاعه ٣٣٠سم، كما يوجد في الساحة بئري ماء، ويبدو أن الساحة كانت مبلطة بحجارة مسطحة. يغلب أن هذا المبنى يُعاصر مبنى قصر العبد في عراق الأمير قرب عمان والذي يؤرخ لحوالي ١٧٥ ق.م.

أما وظيفة هذا المبنى فربما كان مكرساً كمعبد أو ضريح مع ترجيح الاحتمال الثاني، وذلك بسبب العثور على نقش حجري عليه كتابة باللغة اليونانية موجود الآن ضمن حجارة مبنى المسجد القديم في البلدة والذي يبعد عن المبنى الهلنستي حوالي مائة متر، ويذكر هذا النقش أن امرأة تدعى (فاليريا سالفينا) قد أقامت مدفناً لزوجها ولابنها ولنفسها ليكون

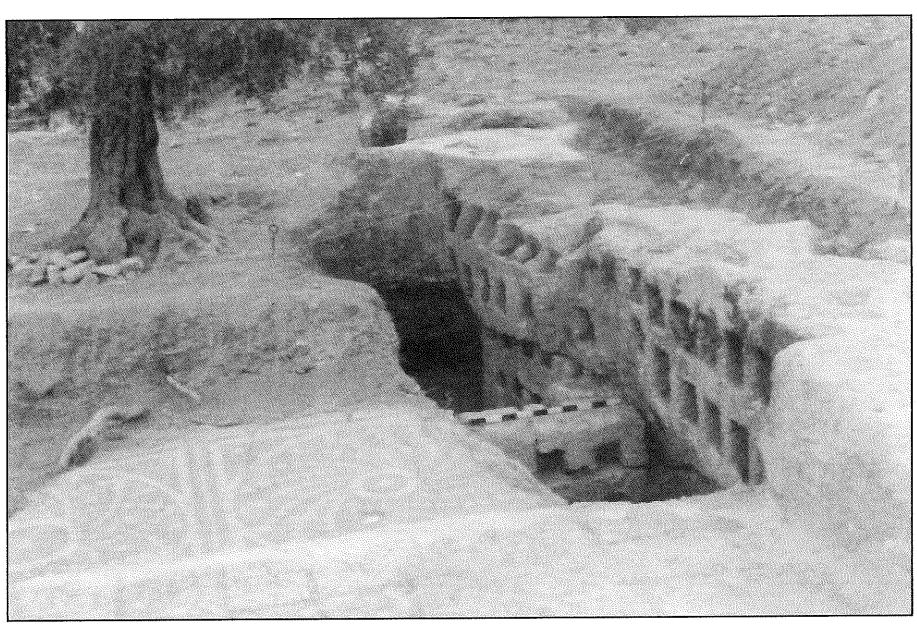

٢. أشكال زخرفية هندسية على الفسيفساء، زمال.

٣ . المبنى الهلنستي، منظر عام، الأشرفية.

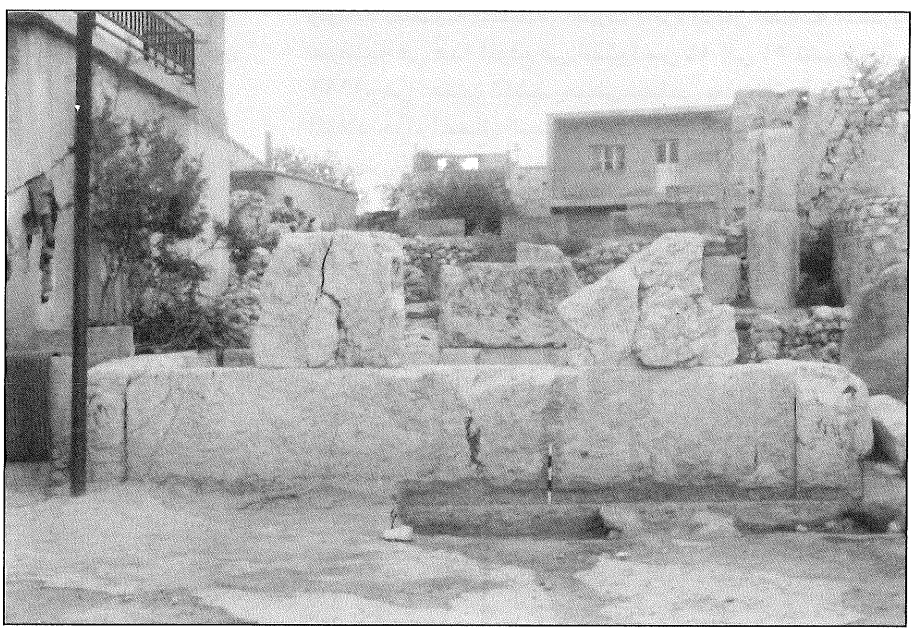

٤ . المبنى الهلنستي، منظر عام، الأشرفية.

مشهداً تذكارياً. في ما يلي ترجمة للنقش [٢]: "فاليريا سالفينا أقامت من مالها الخاص أثناء حياتها المدفن لنفسها ولفاليريوس روفوس زوجها ومن أجل فاليريوس روفوس ابنها الوحيد المتوفى، لكليهما هذا المشهد التذكاري" (**الشكل ٥**).

كفر الماء

تقع بلدة كفر الماء على بُعد ٢كم جنوب بلدة دير أبي سعيد، أجرت دائرة الآثار العامة فيها حفريةً عرضية في الفترة من ١٤ إلى ١٥ كانون أول ١٩٩٥م، تمّ فيها الكشف عن مدفن جماعي منحوت داخل كهف متعرض للنبش والتفريغ منذ أكثرً من ثلاثين عاماً، واقتصرت أعمال التنقيب على تنظيف هذا المدفن وتوثيقه. يضم المدفن ستة قبور بارزة عن الأرضية بارتفاع ١١٠سم ويعلو كل منها كوة منحوتة بشكل قوسي، قصرت جوانب القبور والجدران بقصارة من طبقتيّن، ويبدو على الجدران بقايا آثار ألوان ربما كانت لطلاء كامل أو رسومات، كما أنّ أرضية كل قبر من القبور الستّة رصفت بالفسيفساء الأبيض من الحجم الكبير. يتوسط القبور ردهة مربعة الشكل بقياس حوالي ٣٧٠سم×٣٧٠سم رصفت أرضيتها بالفسيفساء الملونة وهي معرضة للتدمير في بعض أجزائها، لكن يتضح عليها أشكال هندسية لمثلثات وزوجا أحذية وشريط من مثلثات متكررة. يؤرخ هذا المدفن للفترة البيزنطية، حوالي القرنين السادس أو السابع الميلادي، ويُمثل أحد المدافن القليلة

٢. قام بقراءة النقش وترجمته للعربية د. فوزي زيادين من دائرة الآثار العامة، عمان.

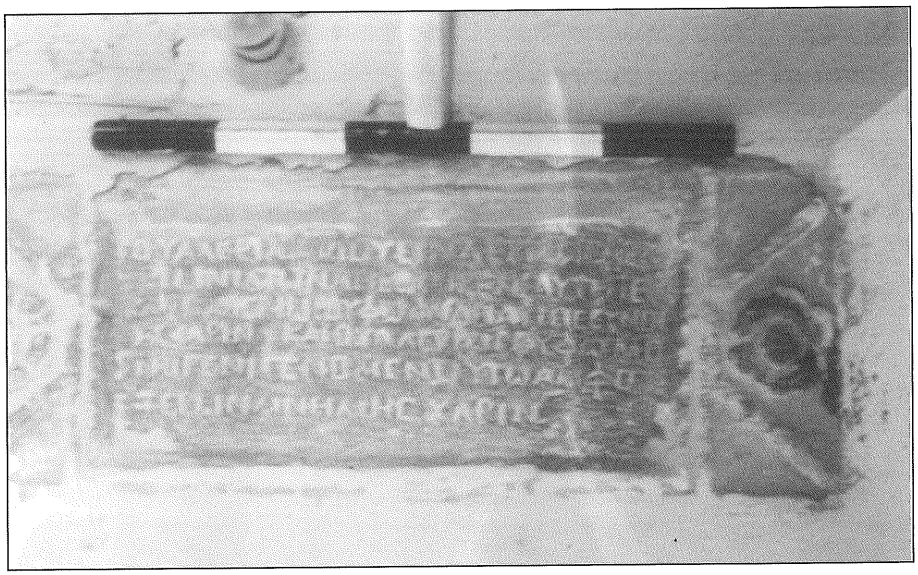

٥. النقش اليوناني الموجود في مسجد الأشرفية القديم.

جداً التي كُشف عنها والتي رصفت أرضياتها بالفسيفساء، وهذا مؤشر على الحالة الميسورة التي كان عليها المدفونين (**الشكل ٦**).

عين المخشة/ وادي زقلاب

يقع نبع عين المخشة إلى الشمال الشرقي من تل أبو الفخار الأثري في سفوح وادي زقلاب، وهو نبع ضعيف التدفق وترتاده الماشية بالعادة. أجرت دائرة الآثار العامة حفرية عرضية في هذا الموقع في الفترة من ٢٤ إلى ٢٦ تشرين ثاني ١٩٩٦م في أعقاب تكشف مدفن جماعي يعود للقرن الأول قبل الميلاد جرّاء أعمال النبش والحفر غير الشرعي التي قام بها لصوص الآثار، بحيث اقتصرت أعمال التنقيب على تنظيف المدفن وتوثيقه وتفحص موجوداته. نُحت هذا المدفن في الصخر الكلسي متوسط الصلابة، ويتكون من تسعة قبور

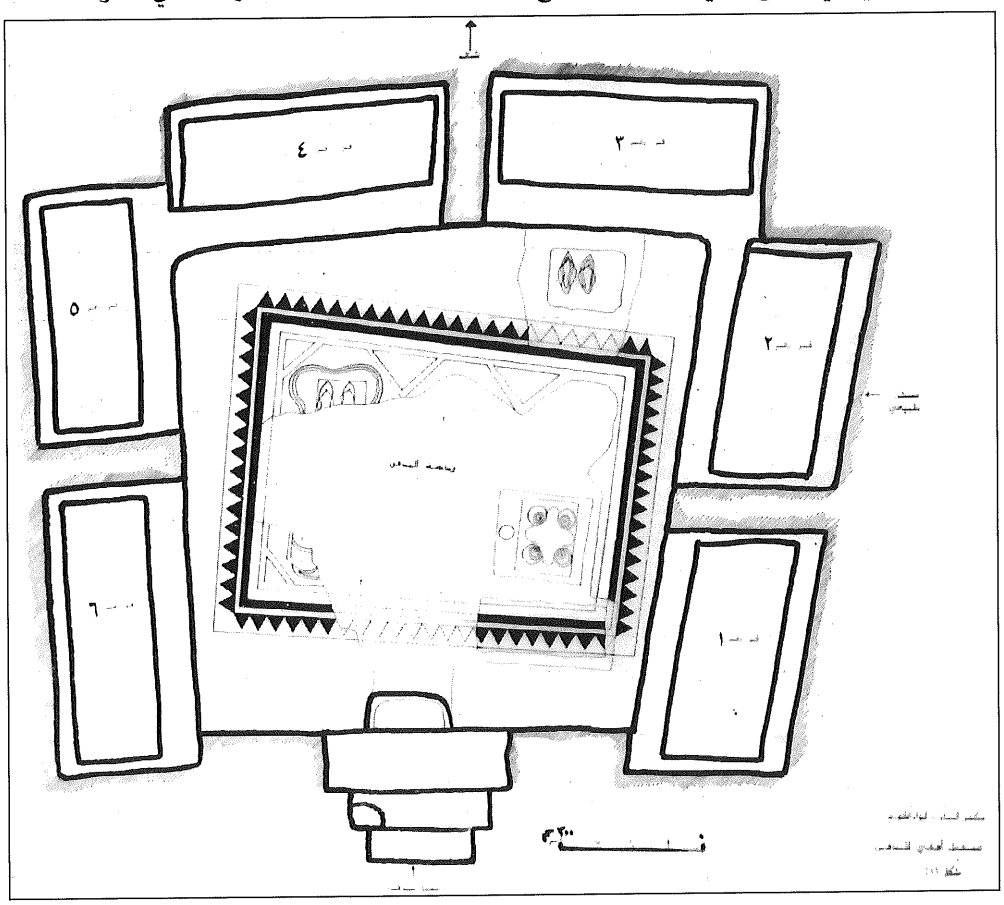

٦. مخطط أفقي لمدفن كفر الماء من الفترة البيزنطية.

جدارية موزعة على ثلاثة واجهات، وقبران أرضيان، ويتوسط المدفن ردهة مربعة الشكل بقياس ٣٨٠سم×٣٥٠سم× ارتفاع ٢٢٠سم ويتخذ سقفها شكلاً قوسياً. عُثر داخل القبور الجدارية وفي الردهة على قطع خشبية معظمها متعرض للتكسير من قبل اللصوص وهي قطع لتوابيت خشبية كانت تضم الهياكل العظيمة، وكان يصل طول كل تابوت حوالي مترين تقريباً، وتبدو الحالة العامة لمادة الخشب لمعظم القطع جيدة وغير متآكلة، مما يُشير إلى تدني نسبة الرطوبة داخل المدفن، كما وجدت عدة لقى متناثرة تمثل مرفقات جنائزية مثل: ملعقة برونزية، وآنية زجاجية صغيرة، وسراجان فخاريان، وأسورة برونزية صغيرة، وحلقات برونزية كانت تثبت على التوابيت (**الأشكال ٧، ٨، ٩**).

خربة صير/ بيت إيدس

تقع خربة صير غربي بلدة بيت إيدس بحوالي ٣كم، يتواجد بها مخلفات أثرية متعددة مثل الكهوف والمدافن وآبار المياه ومعاصر العنب والمخلفات المعمارية والتي تعود في معظمها للفترتين الرومانية والبيزنطية وأُعيد استخدامها لاحقاً في عصور مختلفة. أجرت دائرة الآثار العامة حفرية عرضية في أحد كُهوف هذه الخربة والذي يُطلق عليه العامة "كهف الجندي" في الفترة من ١٥ أيار إلى ٢٠ حزيران ١٩٩٩م وذلك للتحقق من مدى صحة الفرضية التي طرحها أحد السيّاح الأسبان وتناقلتها بعض الصحف المحلية في سنة ١٩٩٨م بأنّ هذا الكهف ربما كان الكهف الذي مكث فيه السيّد المسيح عليه السلام لبعض الوقت في إحدى رحلاته من الجليل إلى شرقي الأردن باعتبار اسم الخربة الحالي "صير" هو ذاته اسم البلدة القديمة "صير" التي زارها السيّد المسيح. غير أن التنقيبات الأثرية في هذا الكهف وجواره لم تفض إلى أية دلائل دينية أو مؤشرات على أنّ له قدسية معينة، بَل تمّ الكشف عن بقايا معصرة زيتون داخل الكهف تعود للفترة الرومانية -على الأغلب- وأُعيد استخدامها في الفترة البيزنطية، حيث تمّ العثور على عدة أحواض وثقالات وزن وموضع تثبيت العارضة الضاغطة وعدة آبار صغيرة لتجميع الزيت. وتبلغ قياسات هذا الكهف من الداخل ١٧م×٧م× ارتفاع ٣,٥-٤م. ويبدو أنّ هذه

٧. مواضع الدفن في مدفن عين المخشة.

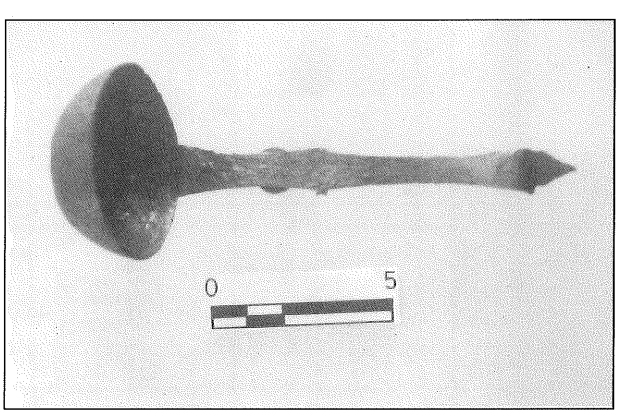

٨ . ملعقة من البرونز من مدفن عين المخشة.

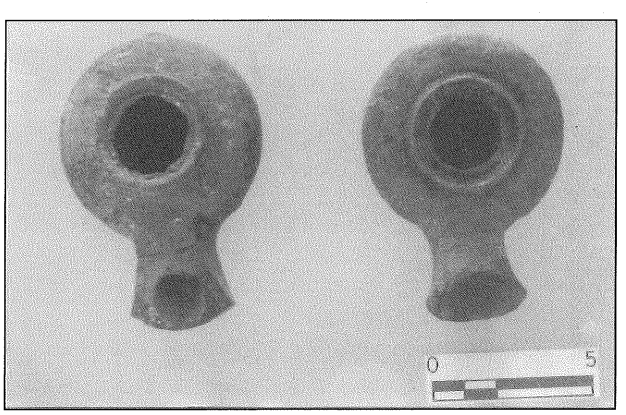

٩ . سراجان فخاريان من مدفن عين المخشة.

المعصرة قد أُلغي استخدامها في أواخر الفترة البيزنطية حيث رُصفت أرضية الكهف برصفة من الحجارة الصغيرة والمتوسطة الحجم بحيث ألغت وجود الأحواض والآبار، مما يدل على أنّ الكهف استخدم على الأغلب بمثابة مستودع للمزارعين. أما خارج الكهف فقد تمّ العثور على قبرين منحوتين في الصخر الكلسي ومفرغين من موجوداتهما، كما تمّ العثور أيضاً على معصرة عنب منحوتة في الصخر وتتكون من أحواض لنشر وهرس وترسيب وتجميع العصير وهي على الأغلب معاصرة لتاريخ معصرة الزيتون. وبالمحصلة فإنّ هذه المعاصر تشير إلى نشاطٍ زراعيٍ في المنطقة (**الشكلين** ١٠، ١١).

سحم الكفارات

تقع بلدة سحم الكفارات إلى الشمال من مدينة إربد بحوالي ٢٢كم، وقد أجرت فيها دائرة الآثار العامة حفرية إنقاذية في شهر حزيران من عام ١٩٩٢م في مدفن جماعي يعود للعصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول. ورغم تعرضه للدمار نتيجة عمليات التجريف أثناء الإعداد لإنشاء مدرسة حديثة، إلاّ أنه تمّ اكتشاف مجموعة من الأواني الفخارية والقطع الأثرية يصل عددها حوالي ٢٠٠ قطعة من ضمنها أباريق، وأسرجة، ومطرات، وأواني طبخ، ومزهريات، وجُعلان، وأقراط ذهبية وفضية وبرونزية، ومجموعة أدوات معدنية كالخناجر والسكاكين وأربعة تماثيل صغيرة ثلاثة منها تمثل المرأة وواحد يمثل بقرة، وأبر خياطة برونزية، وأختام معدنية، وخطافات برونزية، وقد تراكمت هذه المرفقات الجنائزية مختلطة بالعظام بشكل عشوائي، وضعت أسفلها شظايا صوانية بأشكال مختلفةً، ولصعوبة تحديد شكل هذا المدفن بسبب عمليات التجريف التي أضرت به، فهو على الأغلب يُمثل مدفناً جماعياً منحوتاً في الصخر الجيري بشكل كهف، ويغلب على الأواني الفخارية التي عثر عليها أنها صناعة محلية (**الأشكال** ١٢، ١٣، ١٤، ١٥). وتتشابه السمات العامة لمدفن سحم

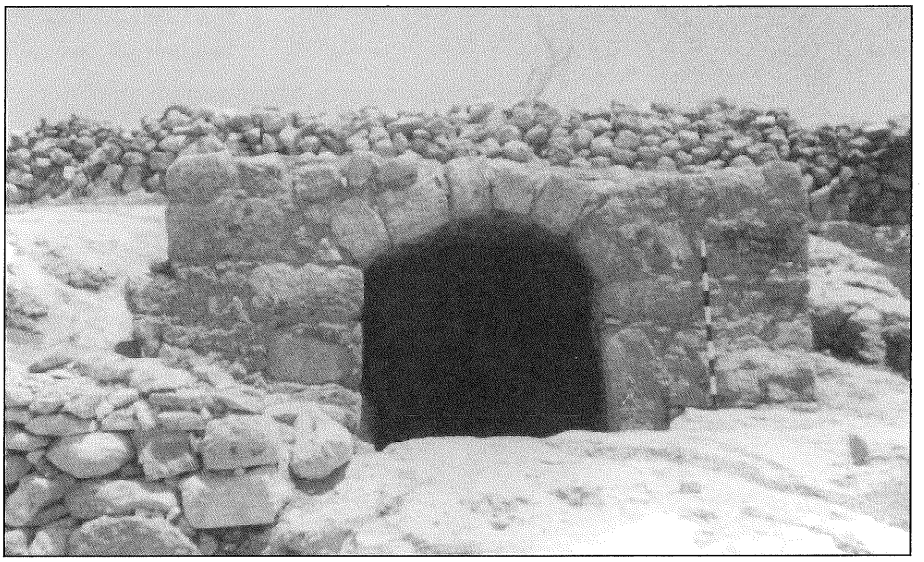

١٠ . مدخل كهف صير/ بيت ايدس.

١١ . معصرة عنب كهف صير/بيت إيدس.

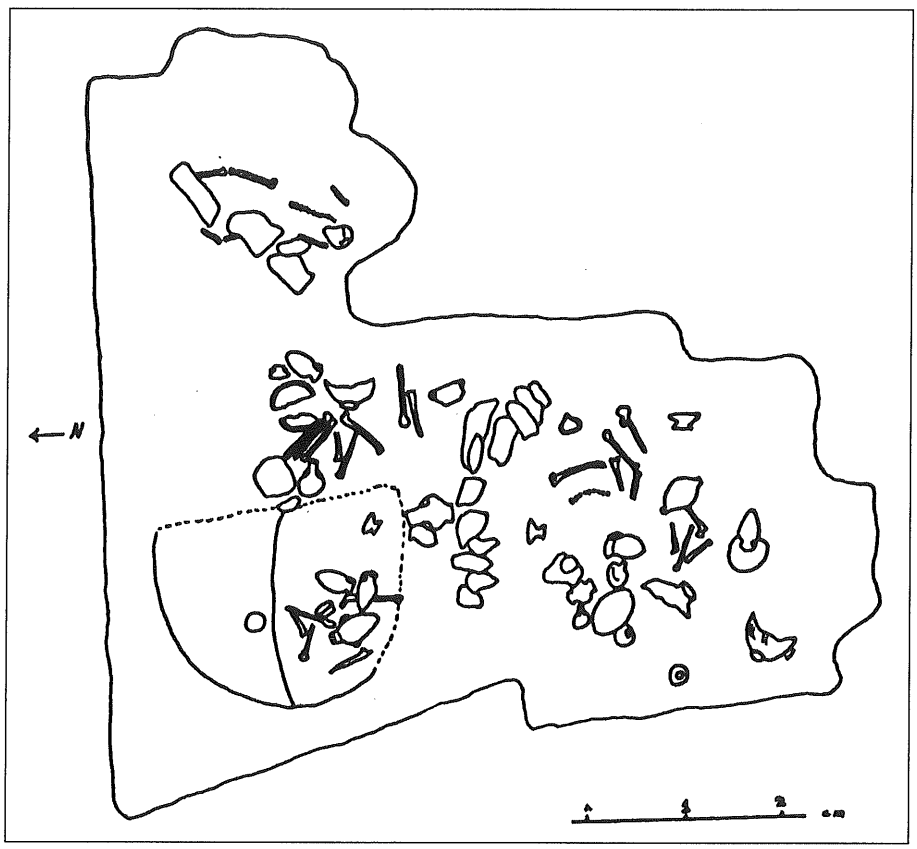

١٢ . مدفن سحم الكفارات.

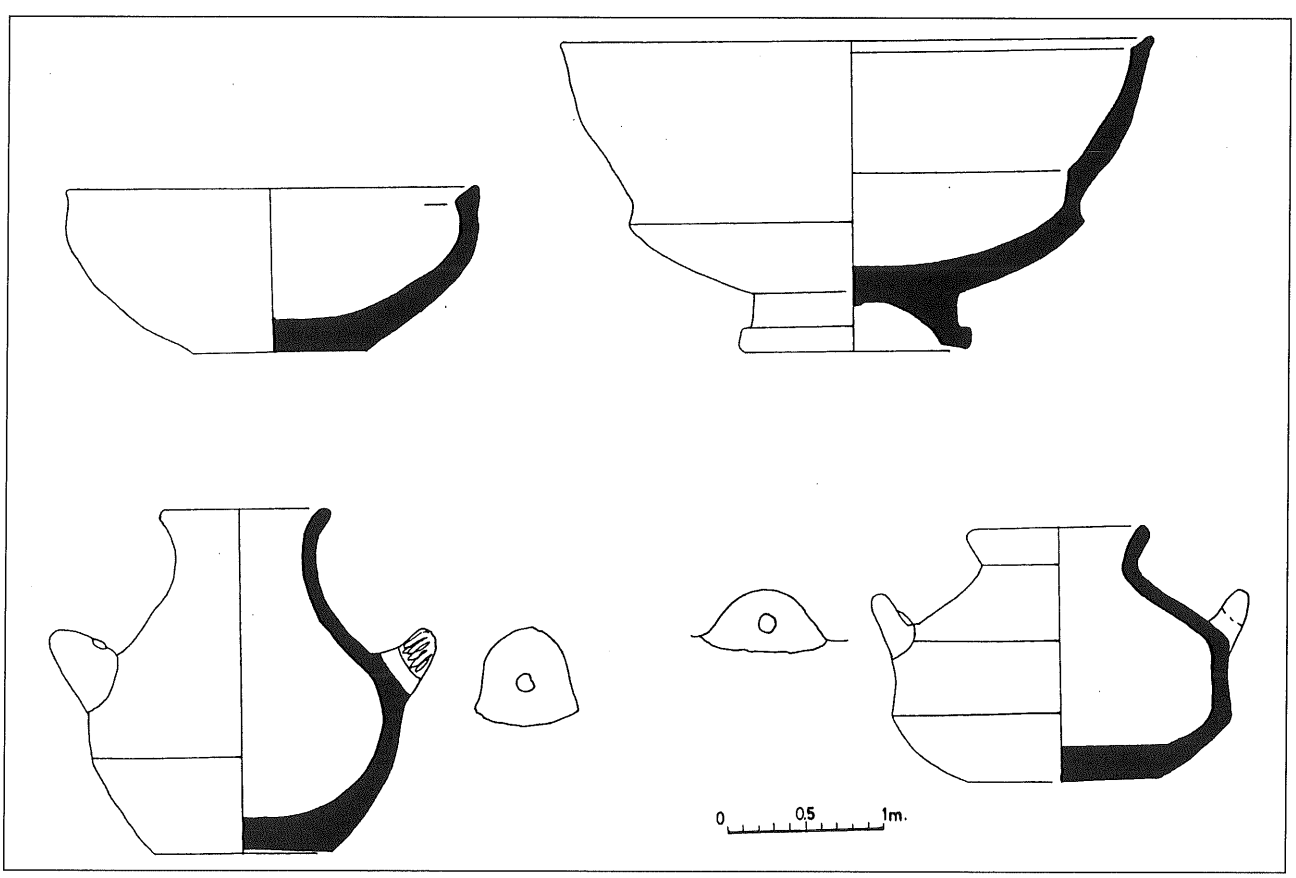

١٣ . عدة أشكال لفخار مدفن سحم.

مع مدافن العصر البرونزي المتأخر (١٥٥٠-١٢٠٠ ق.م.) التي يغلب عليها أنها جماعية وجهزت في التلال كما هو الحال في مدافن: أريحا، وطبقة فحل، وقويلبة، وتل السعيدية، وكتارة السمرا، والحصن وتل أبو الخرز وغيرها.[٣]

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر والتقدير إلى الزملاء الذي أسهموا في هذه الحفريات الأثرية، أو تقديم العون وهم: زايد علي السلامة، خلف حموري، محمد الشياب، محمد بني حمد، حسين بني يونس، ياسر عبد النبي، محمود الديكي، سلامة فياض، د. فوزي زيادين، د. محمد وهيب، د. سحر منصور، د. محمد نجار، ومن قسم التصوير في دائرة الآثار العامة: سالم الدعجة وأسامة جبر، والزميل المرحوم محمد فايز.

إسماعيل ملحم
مكتب آثار لواء الكورة
دائرة الآثار العامة

المراجع

Fischer, P.
1997 *A Late Bronze to Early Iron Age Tomb at Sahem, Jordan.* Wiesbaden.
Mittman, S.
1970 *Beitrage zur Siedlungs und Territorialgeschichte des Nordlichen Ostjordanlandes.* Wiesbaden.
Ovadiah, R. and Asher, A.
1987 *Mosaic Pavements in Israel.* Rome.

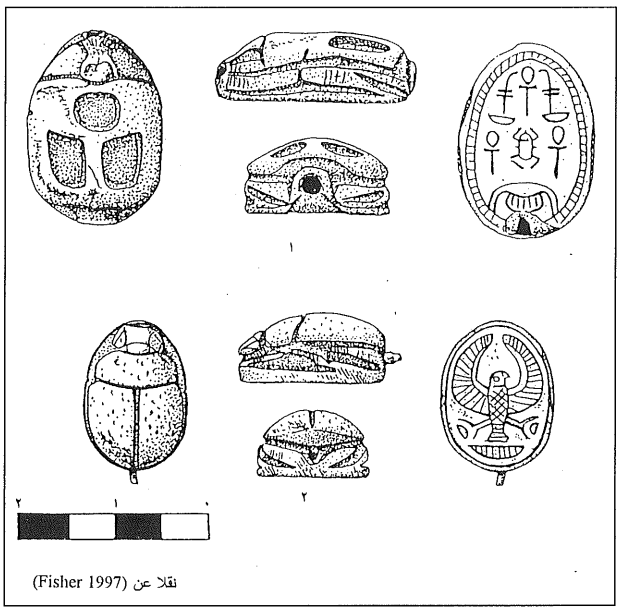

١٤ . جعلان مكتشفة من مدفن سحم.

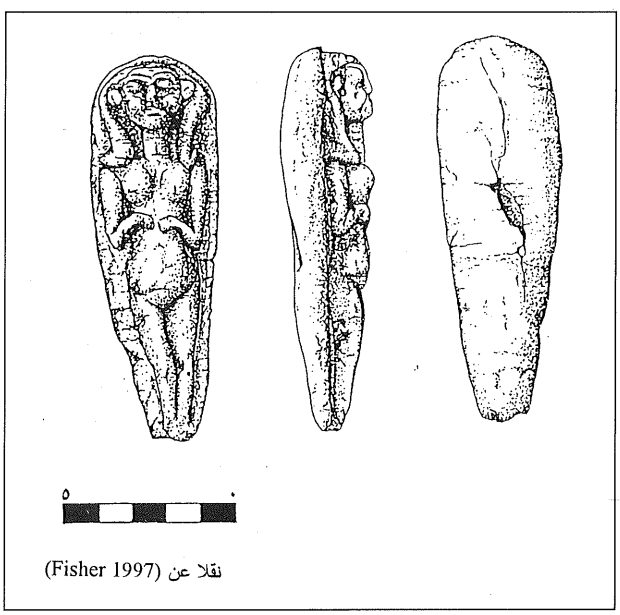

١٥ . تمثال امرأة من مدفن سحم.

٣. لمزيدٍ من الاطلاع على مكتشفات مدفن سحم، أنظر Fischer 1997 .